

الجلد ستم

﴿ الجزء الاول — السنة الرابعة ﴾

﴿ الاسكندرية في ٣١ يار (كانون الثاني) سنة ١٩٠١ ﴾

﴿ الموافق ١٠ شوال سنة ١٣١٨ ﴾

— المرأة في القرن العشرين —

اذا كان القرن التاسع عشر قد انفرد عن كل القرون الطوالي بما حدث فيه من ابداع واختراع وتم من احسان واتقان فلا شك ان ذلك لم يكن فيه انفراداً بشيء لم يكن في الذي تقدمه بل هو لدى الحقيقة يحسب تكمله لما مضى وئمة لتأسيس ما انقضى او هو بالتالي يعد اظهارة للتوهم وتكويناً للتصور لان القرن الثامن عشر قد اعجله الوقت عن تحقيق كل الاماني التي كانت تجول في صدور ابنائه فاودعها القرن الماضي فتممها كلها كما ان القرن الماضي لم يتسع مجاله لاظهار كل مكنوناته فهو قد تركها لهذا القرن الكفيل باذن الله بان يوضحها جميعها ويبدئها بتمامها ولكن الشأن الوحيد الذي انفرد به القرن التاسع عشر في اختراعه المحض وابداعه العرف انما هو شأن المرأة

بالخصوص وانتقاله بها من حال الى حال انتقالاً لم يعمد في سالفات الاجيال فان المرأة كانت من قبل في اشد حالات التوحد والانفراد بعيدة كل البعد عن حدود الحرية والانطلاق حتى انها لم تكن بشيء من الجهة الانسانية المعنوية بل كانت انساناً طبيعياً محضاً يتغير كل شيء الا هي وتبديل كل حالة الا حالتها فلما استهل القرن التاسع عشر ورسم فيه مارسم من حدود الحرية والتصرف نال المرأة من ذلك حظ كبير وجرت في ميدان الحرية شأواً بعيداً حتى لم ينصرم ذلك القرن الا وهي مع الرجل كأنهما في هذا المعنى سواء

على ان تلك المزية التي انفرد بها القرن الماضي في اختراعه واتساع علومه لم تكن صادرة عن الرجال بانفرادهم وان كانت كل تلك المنافع قد خرجت من عقولهم وايديهم بل انها قد صدرت عن النساء ايضاً وان تكن جاءت منهن غير مباشرة وبيان ذلك ان الرجل لما باشر الابتداء والخروج عن الحدود القديمة في صدر القرن الماضي كانت حرية المرأة اول شيء اخترعه ثم جرى على اثرها ماجرى من الاختراعات وتم ماتم من اتساع العرفان وامتداد الاكتشافات فكان اختراع الرجل لحرية المرأة كأنه اختراع للبخار مثلاً اذ كانت تسير به الباخرة والقطار فصارت تدار به آلة الغزل وترفع به تقال الاحجار واشباه ذلك مما يرفع ويسير ويدار وعلى هذا القياس يصح لنا ان نقول ان كل مكان كانت فيه حرية المرأة كان عامراً بالعلم والعمل حافلاً بالزرع والضرع وكل مكان كان خلواً منها كان على عكس ذلك وهذه احوال الشرق والغرب وما بينهما من التباين اصدق شاهد على هذا القول ولقد قالوا من قبل انه حيث يريد الرجل تكون المرأة يريدون بذلك

انها الضعيفة وهو التقدير وانها الجاهلة وهو العالم فلما هذبوا المرأة وعلموها واطلقوها من قديم قيودها ثم رأوا ما كان لهم من النفع بسببها قالوا الآن يصح لنا ان نقول انه حيث تريد المرأة يكون الرجل. ذلك هو القول المأثور الآن ولكنه لا يبطل القول القديم بل الآن قد صارت المرأة شريكة للرجل شركة حقيقية من كل وجه ومعنى فهو اذا طاب منه العلم وكان عالماً فانما الفضل يكون لحذقه من جهة ولا اعتبارها العلم واغرائها به من جهة واذا عيب عليه الجمل وكان جاهلاً فانما يكون ذلك لتقصيره وعدم احتقارها اياه. وكل مكان لا تكون المرأة مغرية فيه بالمجد والنباهة محتقرة للضمة والحمول فحال ان يكون فيه رجال يحسن معهم العيش ونطيب بهم الحياة. اما ما يقال عكس ذلك من جهة بعض النساء او ما يكون من الضرر من بعض الحالات في كل النساء فما يجب ان لا يعتبر في مقام البرهان والحقيقة لان هذه الدنيا - للضرورة قد دلتنا على انه حيث لا تكون نباهة للنساء فبعيد ان يلتمس من الرجال نباهة او يطالب منهم علاء

تلك هي الدرجة التي بلغتها المرأة وذلك هو التأثير الذي كان لها في القرن التاسع عشر وهو تأثير حسن النتيجة كيف وصفت مقدماته محمود العاقبة كيف كانت حالاته ولكن العالم قد وصل الآن الى القرن العشرين وهو يبحث هل تدوم المرأة فيه سبب نفع عظيم لها وللرجل فيسمى القرن بقرن المرأة كما سمي القرن الذي تقدمه بقرن البخار والفحم والحديد وسائر المنافع ام هي تنعكس على طول تداميها في الحرية حتى ترد الدنيا الى سابق عهدا فيكون ضرر الحرية لها موازياً لضرر الجهل منها فلقد قال البعض ان القرن الحاضر سيكون مدة موفورة السعادة تامة

الاقبال والخير وتكون المرأة السبب الوحيد في كل مايتيم وذلك ليس لانها نستزيد العلم والتجربة او تهادى في الانطلاق والحرية بل لانها تزدد صبراً واقداماً وعراكا للامور فتصبح بعد ان كانت لاتملك الا الرقة المحضة والجنين الصرف وهي مستعمرة اقدام الرجل وشجاعته وان الرجل اذا كان باقدامه وحده دون استمانة باقدام جنس غريب عنه قد توصل الى ما توصل اليه من امتداد العقل واتساع المدنية فيكون فعله وقداعاته المرأة بهذا الخلق دون ان تفقد شيئاً من خلافتها الانثوية الغريزية

وقال البعض بل انها قد تكون على ضد ذلك يزيد لها فرط المدنية فتوراً ويورثها ادلالها على الرجل مللاً وتكسبها كثرة الحرية زهواً وخيلاء ثم تحاول زيادة الادلال المألوف فلا تجد لها من سلاح غير التحسن والتزين وهو سلاح يقتل حامله ويوهي منكب المحارب به وان ذلك قد لا يمنع المرأة ان تكون عليمه خبيرة ولكنها تكون عالمة عاجزة عن مباشرة عملها بالعمل وعلى هذا فان الدنيا سترينا في القرن العشرين امراً زائدة مزية من مزايا اقتدار الانثى العقلي ولكنها تكون امراً ناقصة مزية من مزايا الاقتدار البدني فهي بذلك ستكون خلقة غريبة من حيث كبر دماغها وغريبة ابضاً من حيث ضعف بنيتها ورقية بدنها

وقال غيره بل ان المرأة ستدوم الى الابد امراً كما هي لا تزيد ولا تنقص بشيء لان الطبع الغريزي لا يفارقها والاخلاق الانثوية لا تزالها فهي اذا تنصت في شيء وزادت في شيء فاما يكون ذلك حادثاً عرضياً لا يعتمد به ولا تكون منه نتيجة تذكر بل انه اذا كان ثم من تغيير يلم بها فهذا يكون بانها تزدد جمالاً وانتساق اعضاء وملاح وذلك لان فرط المدنية والحرية

قد اولع الناس بالجمال وصيرهم مبالغين في اثاره والمنافسة به وهو شأن يدعو بالتدريج الى زيادة الحسن الاثوي وهذا كل الذي قد يكون من التغيير ولقد قال كثيرون غير هؤلاء اقوالاً لا مكان لها هنا ولكن اكثرها يشير الى شيء من التغيير سيصيب المرأة على التوالي اذا دامت سائرة في سبيلها هذا وان القرن العشرين سيكون قرناً مذكورة فيه المرأة بالتخصيص والتميين وهذا القول وما تقدمه لا يخلو من سداد حين يقاس الى الاحوال الحاضرة ولكننا نحري في رأينا على قول الذي قال ان المرأة ستبقى امرأة الى الابد لا تغيير تعبيراً يذكر وانما نعتبر ذلك ليس من جهة المرأة وخدعها وتوليها نفسها بنفسها بل من جهة ان الرجل سيكون القيم عليها في كل حال وان المرجع الاخير سيكون قوة البدن وليس قوة الرأي والعقل ولما كان الرجل هو الذي غير المرأة في صدر هذا القرن واوصلها الى هذه الحال فهو الذي يرجعها الى الحيز الذي تحسن معه الحال ويصح به الاجتماع وال عمران ذلك اذا كان التغيير الذي يصيبها داعياً الى الضرر العمومي من جهة القياس الى الزمن الذي يحدث به التغيير واما اذا لم يكن من ضرر على موجب ذلك القياس فانها تدوم فاعلة كل ما تشاء الى حد لا تتصوره الان ولكن كل ذلك لا يمكن ان يكون خارجاً عن حد الطبيعة المألوف المقبول لان الصناعة مهما بلغت فلا يمكن ان تعارض الطبيعة حتى تغير مجراها الوضعي اما التغيير العرضي الذي سيكون بالقرن العشرين فانه سيصيب كل بلادنا وسائر الاصقاع الشرقية حتى الافريقية ولا يبعد على الناشئين منا ان يروا نساءهم في اواسط هذا القرن وهن راكبات المدرجات ممثلات في الملاعب والمجتمعات ولكنهن مع ذلك يكن علامات نبيات جاريات على نسق من

الطبيعة مقبول وشريعة من الاجتماع محدودة فليستعد للقاء ذلك ابناؤنا وبناتنا
فانهم حين يصيرون اليه لا يكون منه بأس ولا ضير وقد رأينا حسن النتيجة في
غيرنا فلتكن لنا اسوة بالغير



الشعر المصري

١٠

المقدمة

ويحسن بنا بعد الذي ذكرنا من اخبار عمر رضي الله عنه ان نورد ابياتاً
في رثائه رواها بعضهم لمزرد بن ضرار وانشدها ابو تمام للشماخ مع زيادة
بيت عليها نسبها بعضهم الى الجن وهو

أبعد قتيل بالمدينة اظلمت له الارض يهتز العضاء بأسوق
اما الايات فهي

عليك السلام من امام وباركت يد الله في ذاك الاديم الممزق
قضيت اموراً ثم غادرت بعدها نوافج في اكمامها لم تقتق
وما كنت اخشى ان تكون وفاته بكف سبتي ازرق العين مطرق

وكان ابن عباس رحمه الله على ماترى من شرف قدره في الدين يروي
الشعر ويقول ويطارح الشعراء وينازعهم نشيده دخل عليه عمر ابن ابي
ربيعه الشاعر القرشي المشهور وهو يومئذ غلام وعنده نافع بن الازرق
فقال له ابن عباس انشدنا شيئاً من شعرك يا ابن اخي فانشده قصيدته التي
يقول في اولها

امن آل نعم انت غاد فبكر غداة غد ام رائح فمجر
حتى اتها وهي ثمانون بيتاً فقال ابن الازرق لله انت يا ابن عباس نضرب
اليك اكباد الابل نسألك عن الدين ويأتيك غلام من قریش ينشدك سفاهاً
فتسمعه فقال تالله ما سمعت سفاهاً فقال اما انشدك

رأت رجلاً اما اذا الشمس عارضت فيخزي واما بالعشي فيخسر
فقال ما هكذا وانما قال

— (فيضحي واما بالعشي فيخسر)

وهذا دفع حسن ورد جميل وبمد البيت

اخا سفر جواب ارض تقاذفت به فلو ات فهو اشعث اغبر
قليلاً على ظهر المطية ظله سوى مانقى عنه الرداء المحبر
واعجبها من عيشها ظل غرفة وريان ملتف الحدائق اخضر
ووال كفها كل شيء يهيمها فليست لشيء آخر الليل تسهر
ومنها

فيانك من ليل تقاصر طوله وما كان ليلى قبل ذلك يقصر
ويا لك من ملهى هناك ومجلس لنا لم يكدره علينا مكدر
يمجّ ذكي المسك منها مقبل نقي الثنايا ذو غروب مؤثر
تراه اذا تفتّر عنه كأنه حصى برد او اخوان منور
وترنو بعينها الي كما رنا الى ظبية وسط الخيلة جوذر

وهي قصيدة جيدة نكتفي منها بهذا القدر ولا بن ربعة هذا شعر
يخالط اجزاء القلوب ويتغلغل في اهواء النفوس سنائي على طائفة منه في غير
هذا الموضع مما ضمنه بعض الوقائع باجل اسلوب واحسن نموذج فلنعد الى